

وإن كنا نرى أن النص يتأسس على قاعدة (الاختلاف)، فإن هذه القاعدة هي مبدأ نصوبي يجد بذرته لدى الجرجاني (الفصل الأول)، ولدى آخرين من مبدعين ومفكرين عرب (الفصل الثالث)، وربما تنوعت المصطلحات ولكن المفهوم واحد. وسوف نجد مصطلحات مثل (المعمى) و (الشروء) تتردد في الهاجس الإبداعي وكلها تهدف إلى كتابة واصطياذ النص المختلف.

والنص المختلف هو ذلك الذي يؤسس لدلالات إشكالية، تتفتح على إمكانات مطلقة من التأويل والتفسير. فتحفز الذهن القرائي وتستثيره ليدخل النص ويتحاور معه في مصطرع تأملي يكتشف القارئ فيه أن النص شبكة دلالية متلاحمة من حيث البنية، ومتفتحة من حيث إمكانات الدلالة. وبما أنها كذلك فهي مادة للاختلاف، بمعنى أنها مختلفة عن كل ما هو قبلها، وهي تختلف عما نظنه قد استقر في الذهن عنها. ومع تجدد كل قراءة نكتشف أن النص يقول شيئاً لم نلاحظه من قبل، فكأننا أمام نص جديد يختلف عن ذلك الذي عهدناه في قراءات سابقة. هذا هو النص المختلف، الذي تشير إليه مقولات الجرجاني، المعروضة في الفصلين الأول والثاني، ومثلها مقولات آخر لغيره عرضنا لها في الفصل الثالث ولمسناها في الثاني.

وفي مقابل هذا نجد مفهوماً آخر يزاحم مفهوم الاختلاف ويسابقه لاحتواء النص في التصور وفي الإنشاء، وهو مفهوم (المشاكلة) الذي ساد لدى عدد كبير من الدارسين. وهو يهدف إلى جعل الإبداع نظاماً انضباطياً يتشاكل النص، بوصفه لغة، مع